رواية
على حافة الدم
" قلوب لم تعرف كيف تحب بسلام "
عبدالرحمن طايل

رواية
على حافة آدم

تأليف: عبدالرحمن يحيى

2025

جميع الحقوق محفوظة

© 2025 – عبدالرحمن يحيى حسن

لا يجوز نسخ أي جزء من هذا العمل أو تخزينه في أي نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو التسجيل أو غير ذلك، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

هذه الرواية عمل أدبي خيالي، وأي تشابه بين شخصياتها وأحداثها مع الواقع هو محض صدفة غير مقصودة.

إهداء

"إلى أمي وأبي، لولاكما، لما وُلدت الحكاية،
ولا كتب القلم أول انتصاراته"

• تحذير •

هذه ليست رواية...

بل مرآة.

ما ستقرأه ليس خيالًا خالصًا،

بل صدًى لأفكارٍ مرّت يومًا بعقلك، وصرخاتٍ خافتة دفنتها في أعماقك.

كل صفحة ستأخذك خطوة أقرب...ليس نحو النهاية، بل نحو حقيقتك.

اقرأ علي مسؤوليتك ...لكن لا تضمن أن تخرج كما أنت

فبعض الحكايات لا تُنسى....

"أنا ما كنتش عايز أؤذي حد...

أنا كنت عايز العالم يحس باللي حسيته، ولو للحظة."

– آدم

الفصل الأول
الخطف

كانت ليلى جالسة في سكون ثقيل، لا تسمع إلا دقّات قلبها، وكأن صدرها تحوّل إلى صندوق فارغ يردد الصدى. الغرفة رغم هدوئها، كانت تهمس لها بأن هناك شيئاً قادمًا، شيئاً لا يمكن الهروب منه.

رنّ هاتفها.

رقم غريب، لا يحمل اسمًا ولا ملامح، كما لو أنه أتى من فراغ الزمن. ترددت، لكن إصبعها ضغط زر الإجابة قبل أن تستوعب قرارها.

جاء الصوت. هادئ... رتيب... لكن يحمل شيئاً مخيفًا، شيئاً لم يفهمه عقلها، ولكن جسدها فهمه فورًا.

"أنا جايلِك."

لم يكن هناك اسم، ولا تفسير. فقط جملة واحدة، خرجت بنبرة مكسورة، فيها شيء من الحنين، وشيء أكبر من الحقد.

اختفي الصوت. لم يغُلق الخط، لكنه لم يقل أكثر مما قال. وكأن الجملة وحدها كانت تكفي لزلزلة كيانها.
حدّقت في الهاتف للحظات، تحاول أن تعُيد ترتيب أنفاسها. القلب بدأ يخفق، ليس خوفًا فقط... بل ارتباكًا، دهشة، وشيء صغير في عمق روحها .

ذلك الصوت لم يكن غريبًا تمامًا. كانت تعرفه من مكان ما، من وقت قديم...

آدم.

لكن كيف؟ ولماذا الآن؟ وكيف دخل حياتها من جديد بعد أن أغلقت الأبواب كلها بإحكام ؟

هل كانت تلك الجملة تهديًدًا ؟

أم كانت اعترافًا مشوّهًا بالحب ؟

رفعت عينيها فجأة كأن جدران الغرفة بدأت تضيق، كأن المسافة بين الزوايا تختنق، كأن العالم يتقلصّ نحوها. الهواء أصبح أكثر ثقلًا، وصوت الصمت أصبح أعلى من أي شيء آخر. كل حواسها كانت تصرخ: ‘‘هناك شيء ما قادم. ’’

في أعماقها، كانت تعلم أنها ليست في أمان. ليس لأن النوافذ مفتوحة... بل لأن من كان يومًا مأوى قلبها، أصبح الآن تهديًدًا لروحها.

في تلك اللحظة، لم تكن ليلى تعلم أنها بدأت تسير نحو أعمق كوابيسها. وأن الصوت الذي تسلل إلى أذنها، لم يكن مجرد تهديد عابر، بل بداية النهاية التي لم تكن يومًا مستعدة لها.

دقائق مرت كأنها دهر...وهي تتحرك في الغرفة.

يدها امتدت لهاتفها مرة أخرى، كأن الغريزة سبقت المنطق. لم تكن تملك تفسيرًا، لكنها شعرت أن عليها أن تتصل بأبيها.

ضغطت الرقم الذي تعرفه جيدًاً، رغم أن يدها كانت ترتجف كأنها تقبض على الخوف ذاته.

– ‘‘بابا’’ ...

– "ليلى؟ مالك؟ صوتك غريب".

– "أنا... مش عارفة، حاسة بحاجة مش طبيعية. مش قادرة أوصف، بس في حاجة غلط ...حسّاني إني..."

توقفت.

كأن الكلمات علقت في حلقها، كما لو أن الغرفة ابتلعتها فجأة.

لم تنتظر رداً... الباب تحرّك.

صوت المفتاح في القفل لم يكن عنيفاً، لم يكن هناك كسر، ولا خلع. كأن من دخل، يملك الحق الكامل في الدخول.

آدم دخل بهدوء، ببرود غريب، لا يحمل أي توتر، فقط يقين مرعب .

عيناها اتسعتا، والهاتف لا يزال بين أصابعها المرتجفة، وصوت أبيها كان يكرر:

– "ليلى؟ ليلى، سمعاني؟"

لكن آدم كان قد رآه. رأى الهاتف. وابتسم.

تقدمّ نحوها بخطوات بطيئة. لم يصرخ، لم يسأل، لم يظهر أي ملامح غضب...

بل فقط، مدّ يده بهدوء تام، كأنما يأخذ شيئاً ملكه .

أغلق الهاتف .

ووضعه على الطاولة دون كلمة.

ثم رفع عينيه إليها. كان ينظر إلى وجهها وكأنما يراه لأول مرة. نظرته كانت حادة ،مليئة بأسئلة لم ينطق بها، وكأن الزمن توقّف داخل تلك الغرفة.

قال بهدوء:

– ‘‘كنتِ لسه بتكلميه، صح؟ أبوكِ... دايمًا واقف بيني وبينك. حتى دلوقتي. ’’

سكت لحظة، ثم أضاف بصوت خافت:

– ‘‘بس خلاص. مش هيعرف يلحقك. ولا هيلحق حد’’.

ثم ابتسم، ولكن الابتسامة لم تحمل أي دفء. كانت كأنها ابتسامة شبح خرج من القبر ليأخذ حقّه .

أما ليلى، فكانت تحُارب الخوف بصمت. لم تُظهر انهيارها، لكنها في أعماقها، كانت تدرك أن هذه بداية لشيء ما... وأن عليها أن تفهم كيف يفكر هذا الوحش الذي كان يومًا حبيبها.

*****

انقطع الصوت عند اللواء حسام

ظلّ الهاتف في يده، لكنه لم يُنزله. كأن أذنه ما زالت تنتظر أن تسمع شيئاً آخر، أي شيء... حتى الصمت.

جلس في مكانه بصمت ثقيل.

لم يكن رجلاً سهل الشك، لكن في تلك اللحظة، كان شيء ما ينهش روحه.

كلماتها لم تكن واضحة، لكنها كانت ...مرتبكة. خائفة.

‘‘أنا مش عارفة... حاسة بحاجة غريبة’’...

كلام بسيط.

لكنه لا يخرج من فم ليلى عبثاً. هو يعرفها. ابنته، وقطعة من قلبه.

ذكية، قوية، لكن حين يختنق صوتها، فهذا يعني أن هناك شيئاً حقيقيًا... مرعباً .

نهض من كرسيه بسرعة، وبدأ يسير في طريقه للخروج، عقله يعمل بأقصى طاقته.

عسكريته لم تمت فيه، ولكنها نضجت.

وكأن الرجل الذي خاض معارك ... اليوم يواجه حربًا لا تشبه أي معركة خاضها .

جلس للحظة ، وأمسك هاتفه، لكنه لم يتصل بأحد.

بل ظلّ يحدقّ فيه. كأنما يبحث بين الأرقام عن مخرج، عن تفسير، عن نقطة بداية .

قال لنفسه بصوت خافت:

– ‘‘إيه اللي حصل؟ وليه كانت بتتكلم وكأن حد معاها؟’’

ثم سكت.

كان هناك سؤال يطرق رأسه، لكنه لم يُنطقه بعد :

هل ممكن تكون مش لوحدها ؟

*****

كانت ليلى تنظر لآدم وهو يقترب، والخوف يحاول أن ينهشها من الداخل، لكنها رفضت أن تنهار.

الرهبة لم تكن فقط من وجوده، بل من الطريقة التي يتحرك بها... ينظر بها... يصمت بها.

كأن كل شيء فيه تغيّر، إلا شيء واحد...

العينان.

نفس النظرة التي أحبّتها يومًا، لكنها اليوم تخُيفها أكثر مما يخيفها الظلام.

قال لها:

– "كنت دايمًا تقوليلي إنك بتحسّي بالحاجة قبل ما تحصل... حسّيتي بيا النهاردة؟ "

نظرت له دون أن تُجيب .

لكنه اقترب، حتى أصبح بينهما خطوة واحدة .

مدّ يده، ولمس شعرها، كأن ما زال يرى فيها حبيبته القديمة.

كل ثانية تمر، كانت تفُكر: هل بابا فهم؟ هل هيجي؟ هل لسه في وقت ؟

آدم لاحظ صمتها، فاقترب أكثر.

همس بصوت منخفض، ناعم لكنه مخيف:

– "ليه ساكتة؟ مش بتحبيني زي زمان؟ ولا خايفة؟"

نظرت له وقالت:

– "أنا مش خايفة... انا زعلانة.

زعلانة لإنك قررت تموت من جواك قبل ما تموت في الحقيقة".

تجمّد وجهه للحظة.

ثم ضحك... ضحكة قصيرة، كأنها خرجت من قلب مكسور ومريض في نفس الوقت

ثم تراجع للخلف قليلاً، كأن المسرحية بدأت لتوّها، وقال:

– "أنا رجعتلك، علشان أعيش معاك... أو أموت حواليكي".

ثم أضاف بصوت أشبه بالوعد:

– "بس قبل ده كله، لازم أشيل من حياتك كل حد خلى دماغك تبعد عني... نبدأ بأبوك.

كان يشعر بأن هناك شيئاً ما لا يُقال، شيء يزحف في الظل بصمت، يربك الحسابات.

*****

اللواء حسام وصل للسيارة ، كأنه اندفع بسرعة الرصاصة قبل أن يعلو صوت المدفع نفسه ، وأمسك بهاتفه، وأعاد تشغيل المكالمة الأخيرة مع ليلى، يحاول أن يقرأ في صوتها ما عجزت الكلمات عن قوله.

– "أنا مش عارفة... حاسة بحاجة غريبة"...

همس لنفسه:

"ليه قالت كده؟ ليه لهجتها كانت متلخبطة؟"

ثم نظر بعيدًا، كأن عقله يغوص في الماضي.

تذكر في مرة قالت له إن "آدم بيبص للناس بطريقة غريبة"، ومرة كانت شاردة وبتقول: "بحس أوقات إنه بيقرا اللي في دماغي".

لكن وقتها سكت، قال لنفسه: "شباب... وهوس المشاعر."

لكن دلوقتي، الصورة بدأت تتكوّن، مش كاملة، بس مرعبة.

"مين ممكن يكون حوالين ليلى دلوقتي؟ مين آخر شخص كانت بتقضي معاه وقتها؟"

لم يذكر اسمًا، لكن اسم "آدم" مر بعقله مرورًا خفيفًا... كطيف، لا كأتهام.

"لو في تهديد... فأنا لازم أتحرك قبل ما يبقى الوقت اتأخر".

لكن في داخله... كان هناك صراع بين عقل الضابط وقلب الأب.

*****

الغرفة هادئة، هدوء لا يشبه السلام، بل أشبه بصمت العاصفة قبل أن تنقض.

آدم جلس أمامها، وعلى وجهه ابتسامة غريبة، لا تحمل دفء الذكريات، بل برد النوايا.

قال بصوت ناعم، لكنه بارد:

‘‘عارفة إنك أول ما سيبتيني، كنت كل يوم بقول لنفسي إنها هترجع... بس إنتِ ما رجعتيش.
’’

نظرت له ليلى بجمود..

قالت بهدوء مصطنع:

‘‘في حاجات مبتتصلحش،يا آدم... في حاجات لو اتكسرت، مبتتصلحش.’’

ابتسم، ثم مال للأمام، وهمس:

‘‘وأنا قررت ما اصلحش حاجة ... أنا قررت أخلّي كل حاجة تتكسر زيي.’’

سكت، ثم نظر في عينيها وقال:

‘‘عارفة؟ أنا جاي أعيش معاكي أيامنا الحلوة... بس على طريقتي’’ .

ثم ادخل يده في جيب جاكيت قديم كان معلقًا على الكرسي، وأخرج منه صورة قديمة لهما معًا.

لكن الصورة كانت ممزقة من المنتصف، النصف الآخر محروق.

نظرت ليلى للصورة، وعينيها اتسعت قليلاً... لم تكن فقط ممزقة، بل كتب خلفها جملة:

‘‘ذكريات لا تصلح للبقاء، لكنها تصلح للانتقام’’.

آدم ظل صامتاً للحظات، ينظر لها وكأنه يتأمل ملامحها القديمة التي اشتاق لها .

ثم قال بنبرة هادئة:

‘‘تعرفي إن كل يوم بعد ما سيبتيني، كنت بتخيلك وإنتِ بتصرخي؟ ’’

نظرت له ليلى بدهشة ...‘‘بتتخيلني إيه؟’’

اقترب أكثر، جلس على طرف الكرسي المقابل وقال:

‘‘كنت بتخيلك وإنتِ شايفة اللي بتحبيه بيتكسر... بس مش من بعيد، لأ، من قريب... من أقرب نقطة ممكنة’’.

ليلى بدأت تتوتر، صوتها اتغير:

‘‘بتتكلم عن إيه؟’’

ابتسم ابتسامة مائلة وقال:

‘‘بتكلم عن... إننا نعيش كل حاجة سوا، حتى الألم’’....

ثم أخرج من جيبه صورة حديثة .

كانت صورة لأخوها الصغير، امام المدرسة .

نظرت ليلى للصورة، وشحب وجهها.

قال آدم بنبرة هادئة:

"لسه بيروح المدرسة لوحده؟ ولا بقى عنده حد يمشي معاه؟"

سكتت.

كل شيء جواها تجمد، واصبحت بين الصدمة والخوف والشك .

وآدم؟... ابتسم نفس الأبتسامة وقال:

"أنا قولتلك... المرة دي، هعيش معاكي كل حاجة... على طريقتي" .

كسر حاجز الصمت وقال فجأة:

"أنا مش راجعلك عشانك إنتِ بس يا ليلى... أنا راجعلك عشان أخدك واوجع ابوكِ عليكي. "

نظرت له، وعيونها بدأت تدمع وهي لا تفهم، أو تحاول عدم الفهم.

"أبوك اللي وقف حياتي من زمان... اللي كان من أسباب حاجات انكسرت جوايا" .

اقترب اكثر، وقال:

"فاكرة لما جه البيت في مرة ؟ فاكرة إزاي بصلي ؟ كإني مش بني آدم؟"

‘‘هو ماعرفش إنه بكراهيته دي، خلق اللي واقف قدامك دلوقتي’’.

صوته فضل هادي، لكن عيونه كانت ثائرة.

‘‘أنا محاولتش آذيكِ في الأول... كنت فاكر إنك ممكن تكوني الحاجة الوحيدة اللي تخليني طبيعي’’.

‘‘بس لما مشيتي... فهمت إن مفيش رجوع... وإن الطريق الوحيد اللي فاضل هو وجع اللي وجعني.

قام من مكانه ببطء وبدأ يدور حولها في صمت.

‘‘هنبدأ دلوقتي... عشان يشوفك، ويعجز، ويتكسر... زيه زيي زمان’’.

ليلى اصبحت غير قادرة علي التنفس من الخوف، لكن كانت بتحاول تتمالك نفسها... بتحاول تدور على أي منفذ.

*****

في لحظة، تحرك حسام وكأن شيئاً انفجر داخله .

تحرك بسيارته بسرعة هائلة ، عينيه على الطريق، لكن عقله كان يجري أسرع من العجلات .

نبرة صوت ليلى لم تكن طبيعية... حتى صمتها كان يصرخ.

‘‘في حاجة مش مفهومة... في حاجة’’ .

لم يكن هناك وقت للتردد،

كل ثانية تمر قد تعني النهاية... أو النجاة.

سنوات من الخدمة علمّته كيف يقرأ التفاصيل الصغيرة. واللهجة التي يسكنها خوف مكسور؟

ليست صدفة،

السنوات التي استنزفها في ساحة العمليات علمته ان الصوت يمكن ان يخدع، لكن الصمت لا يكذب.

"لو في خطر... يبقى لازم أتحرك. لو دي إشارة... يبقى دي آخر فرصة ".

الطريق كان طويل، لكن قلبه أسرع منه. فكرة تعقبها فكرة، وتحليل يجرّ خلفه تحليلًا، وكل احتمال أسوأ . "في حد معاها... حد مش طبيعي. لكن مين ؟ "

وصل أمام البيت، وكأن الجدران تهمس له بما يخشاه، فلم يكن الوصول نهاية الطريق، بل بدايته. كانت خطواته سريعة، ويده على سلاحه... ليس كضابط فقط، ولكن كأب.

فتح الباب بحذر. الغرفة ساكنة... بشكل مزعج.

كرسي مقلوب.

كأس مكسور.

صمت ثقيل، كأنه كان صوت صراخ اتحبس في الجدران.

الستار تهتز من شباك مفتوح.

لا صوت...

لا أثر...

ولا ليلى.

وقف في نصف الغرفة، عيونه بتدور، لكن ملامحه جامدة.

وصل.

بس الوقت... كان متأخر.

"نـهاية الفصل الأول "

الفصل الثانـي

الطريق إلـى الـهاويـة

الطريق كان طويلاً... أطول من اي مسافة قطعتها في حياتها.

مربوطة، ليست يداها فقط.... لكن كأنها مربوطة بأسئلتها، بخوفها، وبذكرياتها التي أصبحت سكاكين.

السيارة تتحرك، والليل بالخارج كأنه شاهد صامت على الجريمة التي لم تبدأ بعد.

آدم لم يقل شيئا... صمته لم يكن راحة.

وكأن اسفل جلده نارًا خفية ، تأكل من جسده ببطء لا يُري .

ثم، بصوت أقرب للأنين، قال:

‘‘فيه وجع ماينفعش يتشرح... بس يتعاش.

أنا كنت مستنيكِ، يوم ورا يوم... لحظة ورا لحظة.

وإنتِ ؟

نسيتي، ومشيتِ... كأنيّ ماكنتش موجود أصلاً.’’

ليلى نظرت له، للمرة الاولي منذ اختطافها... ليس نظرة كره، ولكن شك.

رغم رعبها، كان في كلماته ما وخز قلبها بألمٍ خفي.

همست وهي تحاول الحفاظ على ثبات صوتها:

‘‘آدم...

إحنا إيه اللي حصل؟

أنا... أنا عملت فيك إيه؟"

ابتسم، ابتسامة خرجت من روح ليست متماسكة ابداً.

"عملتي؟

كنتي النور...

بس لما طفيتيه، أنا اتعلمت أعيش في العتمة.

وأسوأ حاجة...

إني كنت بحبك لدرجة إنك لما مشيتي، خدتِ معاك كل اللي كان باقي مني."

صمتت ليلى، وكأن الكلمات تسللت إلى أعماقها قبل أن تدرك معناها.

آدم استعاد انتباهه للطريق، وكأن الواقع انتزعَه من غفلةٍ قصيرة .

وقال :

"أنا مش باخدك علشان آذيك...

أنا باخدك علشان تفهمي...

تفهمي أنا بقيت إيه بعدك".

*****

حسام وقف في نصف الغرفة ، عيونه تبحث في كل اتجاه، لكن قلبه كان ثابت على فكرة واحدة:

‘‘هي مش هنا’’

لا يوجد أي صوت... لا أنين، لا حركة... حتى الصمت اصبح ثقيل.

خطا خطوات بطيئة وسط الغرفة ،عِيناه تلتقطان أدق التفاصيل، كأنهما تُمشّطان العالم بنظرة فاحصة لا يفوتها شيء.

الكرسي المقلوب، الكاس المكسور، الستار التي تهتز...

لكن ذلك لم يكن كافيًا.

ركع على الأرض، يشعر كالضابط الذي يبحث على خيط، وبقلب الأب الذي يمسك في الأمل ولو حتي خصلة .

وهنا... لمحها.

ورقة صغيرة، لا... صورة .

بجانب السرير، بدت وكأنها تحاول أن تتوارى عن الأنظار.

أطلق يده نحوها.

كانت صورة ليلى، نصف وجهها، مبتسمة في لحظة قديمة.

ولكن... كانت ممزقة.

نصف الصورة مفقود، متاكل كأنه حُرِق،

والنصف الثاني ... مكتوب عليه بخط غريب، واضح، ليس مثل خط ليلى:

"ذكريات لا تصلح للبقاء، لكنها تصلح للانتقام".

شدّ نفسه، وقرب الصورة من عينه أكثر ...

كانت مطويّة اسفل طرف المرتبة، في موضعٍ لا يُخبَّأ فيه شيءٌ عادة .

ولكن لم تكن صدفة.

هي من خبّأتها... ليلى، دون أن تترك أثرًا.

كانت تعرف إن آدم لن يراها ، لكن لم تستطع تجاهل احتمال أن يراها والدها.

كان دليلاً.

صغير، ولكن ذكي... من ليلي الى والدها.

نداء خفي من قلبها لقلبه.

اشتعلت عروقه بالحياة، لكن وجهه أنكرها بصمتٍ بارد.

الجندي الكامن في داخله استيقظ.

والأب... تحطم.

نهض ببطء.

نظر في ارجاء الغرفة مرة اخري، ولكن بعين ثانية.

لم يعد يبحث عن ابنته فقط...

ولكن يبحث عن الحقيقة، ويبحث عن من سرق روحه وترك له كابوس حي

*****

ليلي مغمضة العينين اسفل قطعة قماش سميكة، تشعر بوجودها في مكان ضيق.

الألم يزحف في جسدها ببطءٍ موجع، لكن عقلها كان منشغلًا بأمرٍ واحد :

فين المكان اللي انا فيه دة؟ ”

وفي لحظة، شعرت بشيء ثقيل يزيل القطعة من فوق عينيها .

الضوء كان ضعيفاً ، مصباح صغير معلق في السقف، كان الضوء يخترق الغبار المتناثر، يلامس ذراته العالقة في الهواء كأنه يوقظه.

فتحت عينيها ببطء، ورأت المكان لأول مرة.

المخزن كان قديماً ، والهواء ليس ساكناً .

الجدران متشققة، والطلاء مُقشر كأن الزمن نهشه، الأرض مليئة بالحطام، وأعمدة حديدية قديمة. في قلب المستودع، انتصب عمودٌ حديديٌّ ضخم، كانت ليلى موثوقة إليه، يداها مكبلتان، لا تقوى على الحركة.

الرباط كان قاسيًا، كان كافيًا ليشلّ جسدها بالكامل، مثبتًا إياها كتمثالٍ .

حاولت رفع راسها، لكن الجروح على رقبتها كانت كفيلة لجعلها عاجزة.

وهي لا تزال لا تفهم كيف جاءت هنا.

ولكن الشيء الوحيد الذي ادركته...

أنها إذا استمرّت في التفكير ستنهار.

وبعد لحظة من الصمت، شعرت بحركة أمامها مرة اخرى.

آدم.

كان واقف امامها، ظهره يغلفه الظل، ملامحه لم تكن واضحة في البداية.

ولكن عندما اقترب، رأت وجهه، أثقلته ملامح التعب، لكن ما شدّ الانتباه أكثر، كان ذاك الغموض العميق الذي خيّم في عينيه.

قال:

"فتحتي عينك أخيرًا ؟

بصعوبةٍ رفعت رأسها، والألم يتسلّل من عينيها، لكنّ نظرتها ظلّت ثابتة عليه، كأنها تُحدّق في مصيرها.

كانت تعرف إنه قادم لكي يواجهها.

"أنا مش هخاف منك".

خرج صوت ليلى يحمل صلابة غريبة، كأن الألم لم ينجح في كسرها، رغم القيود والجراح.

آدم اقترب خطوة، ثم خطوة اخري.

نظرته كانت مليئة بالحيرة، مثل مَن يحاول استيعاب ما حدث.

قال: ‘‘فكرتي إنك ممكن تهربي؟ لو كانت دي خطتك، فأنتي مش فاهمة حاجة’’.

حبست ليلى أنفاسها، واختارت الصمت، بينما عيناها تراقبانه بتركيزٍ حذر، كأنها تحاول فكّ شفرة روحه.

‘‘اللي يشوفك دلوقتي مش نفس اللي يشوفك زمان’’. قالها بصوتٍ قاسٍ، كأن الحزن ينهش قلبه فلم يجد غير الدموع ملجأً.

في لحظة، كانت ليلى تشعر ان الجرح في قلبه أعمق بكثير مما تتصور.

‘‘لكنها لم تكن لتكون الضحية... كان هو الضحية، ضحية نفسه.’’

حاولت رفع رأسها مرة اخرى، عيونها مليئة بالتحدي، لكنها لم تقل شيئًا، وكأن قرارها كان الاكتفاء بسماع همسات الهواء .

‘‘كنتِ فاكرة انك هتعرفي تهربي؟’’ سألها بمرارة، وقف أمامها، وعقله مثقلٌ بذكرياتٍ قديمة وألمٍ لا ينقطع.

لكن ليلى كانت ثابتة، رغم الألم.

‘‘لو فاكر إنك هتكسرني، يبقى انت غلطان’’.

*****

خرج اللواء حسام على عجل من البيت، خطواته ثقيلة لكن ثابتة، لا يشغل ذهنه سوى فكرة واحدة: عليه أن يتحرّك.

ركب سيارته، أدخل المفتاح، وأدار المحرّك بعصبية،

فاندفعت السيارة كأنّها تدرك أن الوقت ينفلت من بين يديه

الشوارع كانت ساكنة،

الليل هادئ بطريقة مزعجة، كأنّ العالم بأسره قد غفا...

إلا هو.

كان يقود بدون اتجاه،

"يمرّ بأماكن ربما لم تطأها قدماه من قبل،

عيناه تجولان في كل زاوية، كل وجه، كل بابٍ موارب،

لعلّه يرى شيئًا...

لعلّ إحساسًا يقوده إلى ما يبحث عنه."

المرايا تتوالى، والضوء ينسكب على الطريق،

غير أنّ عينيه لا تريان سوى شيءٍ واحد...

ليلى..

كلّما تقدّمت السيارة، تسارَع نبض قلبه،

وفي كلّ ثانية تمرّ، كان يشعر بأنّ المسافة تزداد بُعدًا،

لكن... كان الأمل لا يزال هناك،

ضعيفًا، ضئيلًا،

لكنّه حيّ، لم ينطفئ

طاف أرجاء المدينة، شارعًا يتبع شارعًا،

تسلّل إلى الحواري الضيّقة، ووقف أمام جدرانٍ لا تحكي شيئًا،

لكن النهاية كانت صامتة...

لا دليل،

لا صوت،

ولا ظلّ.

مرّت الساعات وهو يقود،

لم ترمش عيناه، ونبض قلبه يعلو مع كل لحظة،

لكن الطريق كان باردًا، خاليًا...

تمامًا كما كان شعوره

عاد بالسيارة إلى المنزل،

صرخت الفرامل،

لكنه ترجّل في صمتٍ تام.

فتح الباب ودخل،

نفس المنزل...

لكنّه لم يعد كما كان.

كانت ملابسه مثقلة بالعرق والغبار،

لكنّ إرهاقه لم يكن من الطريق،

بل من العجز.

وقف في منتصف الصالة،

وألقى نظرةً حوله،

وللمرّة الأولى شعر أنّ هذا البيت... غريب.”

أعاد نظره إلى الصورة التي لا تزال في جيبه،

أخرجها بهدوء،

تأمّلها من جديد

“أنا هكمّل.”

جلس، وأسند ظهره إلى الحائط، وترك كل شيءٍ من حوله يلوذ بالصمت

*****

كان الضوء الخافت المتدلّي من المصباح الصغير فوق ليلى كافيًا ليكشف ملامح المكان الباهت.

من حولها، كلّ شيء يشير إلى مكانٍ نُسي منذ زمنٍ بعيد.

لكن الفكرة التي سيطرت علي ذهنها كانت واحدة:

كيف تخرج من هنا؟

حاولت أن تحرّك يديها، أن تشدّ القيود التي كانت تنهش لحمها،

لكن الرباط كان محكمًا.

تملّكها لوهلة شعور بالرغبة في الانهيار، في البكاء، في الاستسلام،

لكنها كانت تدرك تمامًا: إن سمحت للضعف بأن يتسلّل،

فقد انتهى كل شيء.

نظرت من حولها مجددًا، فرأت بعض الأشياء المبعثرة على الأرض: قطعٌ من الحديد، وأخشابٌ قد تكون نافعة،

لكنها كانت بعيدة جدًا.

كأنّ هذا المكان لم يُرد فقط أن يقيّد جسدها، بل أن يُكبّل عقلها أيضًا.

ورغم ذلك، كان في أعماقها صوتٌ شخص يصرخ...

"مفيش وقت، لازم تلاقي حل".

كان الزمن هنا غريبًا؛ كلّ ثانية تمرّ كأنّها ساعة،

وعقلها يركض في سباقٍ مع جسدٍ مكبَّل،

لكن مشاعرها... كانت باردة.

لم يكن بداخلها سوى يقينٍ واحد:

إذا فكّرت بطريقة صحيحة،

قد تملك فرصة للنجاة.

شدّت يديها من جديد،

لكن الحبال كانت تقبض على لحمها بألمٍ لا يُحتمل.

لمحت قطعة خشبٍ قديمة بجانبها،

صغيرة، لكن ربما خفيفة بما يكفي لتكون مفتاحًا لفكّ قيدها.

المشكلة الوحيدة... كانت المسافة،

فكلّ شيء بدا بعيدًا،

حتى الأمل ذاته.

أخذت نفسًا عميقًا،

تحاول إقناع نفسها بأنّ الهدوء هو السبيل الوحيد.

كانت تفكّر في كل حركة، في كل زاوية،

فلو تحرّكت بالشكل الصحيح...

ربما تنجو.

خفقات قلبها كانت تطرق صدرها بعنف،

لكن عقلها كان يقاتل الاندفاع.

وفجأة...

دوّت خطوات ثقيلة تقترب.

آدم.

كان يحمل طبقًا من الطعام،

يتقدّم به ببطء، كأنّه يخشى أن يكسر الصمت،

وضعه أمامها بحركة باردة،

وعيناه تراقبانها...

بحذرٍ محسوب.”

“ده هيساعدك تحسّي بتحسن،” قالها بصوت مش مُشجِّع، زي ما يكون بيحاول يخدع نفسه.

كانت عينا ليلى معلّقتين بالطبق الملقى أمامها،

ساكنًا على الأرض،

صامتًا مثلها.

لكن عقلها... كان في مكان آخر تمامًا.

أما آدم،

فقد كان يبحث بعينيه عن أداةٍ حادة تساعده على فكّ الحبال،

بينما يراقبها بصمتٍ مشوب بالحذر.

ولم يكن يعلم...

أنّها تفكّر في شيء آخر تمامًا.

في لحظةٍ خاطفة،

رفعت قدميها، وركلت الطبق بقوةٍ محسوبة.

ارتطم بالأرض،

وتناثر إلى قطعٍ صغيرة حادة.

لم تضيّع وقتًا،

التقطت قطعةً مدبّبة،

وأخفتها بين أصابعها المرتجفة،

في قلبٍ يدقّ بعنف،

وإيمانٍ بأنّ هذه قد تكون الفرصة الأخيرة.

لكن الصوت جذب انتباه آدم،

استدار،

وتقدّم نحوها بخطواتٍ واثقة لكنها متوترة.

كانت أسرع منه،

شدّت الحبل الذي يقيّد يديها إلى العمود،

تحاول أن تستخدم الحافة المكسورة لفكّ قيدها، لكي تحرّر نفسها، ولو بجرحٍ آخر.

وقبل أن تتمكّن...

كان آدم واقفًا أمامها، بعينين تشتعلان بالغضب، وصمتٍ يسبق العاصفة.

"إيه اللي بتعمليه؟" سألها بصوتٍ بارد، وعيناه معلّقتان بها، كأنّه يري ما يدور في عقلها قبل أن تعيه هي ذاته.

وبحركةٍ خاطفة، انتزع القطعة الحادّة من يدها، ثم اقترب بها من معصميها المقيّدين،

كأنّه يتعمّد أن يُبقيها معلّقة بين الأمل والتهديد

"أي محاولة هروب منك هتعمل جرح عميق فيكي".

في لحظةٍ خاطفة، انقلب الأمل إلى وجع. الألم اندفع من معصميها،

حين غاصت الحافة الحادة في لحمها،

في موضعٍ دقيق،

كأنّه اختار مكانه بعناية .

الدم بدأ يتسلّل ببطء،

ينزف بلا صوت، لكن الصمت كان يصرخ في داخلها.

حاولت أن تُبقي تركيزها، لكن الوخز كان أقسى من قدرتها، والنظرة في عيني آدم...

كانت أشد من كلّ الجراح.

تقدّم نحوها خطوة، ونظر إليها بثباتٍ يشوبه الحذر،

ثم قال، بصوتٍ منخفض:

"فاكرة ان النجاة هتبقي عن طريق انك تخدعيني المرة الجاية هتبقي في مكان مؤلم اكتر"

‘‘فاهمة؟’’

التهديد كان ظاهراً في عينيه، اي محاولة اخري منها يمكن ان تكلفها اكثر .

*****

حسام... الأب المكسور، يحمل على كتفيه أكثر مما يُحتمل، لكن عينيه كانت يقظتين،

أكثر وعيًا من أي وقتٍ مضى.

سحب الحاسوب المحمول، ووضعه على المكتب بحركةٍ متثاقلة، كأنّ التعب استقرّ في كل خليةٍ من جسده،

لكن داخله... كان مشتعلًا.

فتح الجهاز، وبدأ يتتبّع سجلّ المكالمات. بحث عن آخر محاولة قامت بها ليلى للتواصل،

قبل أن يبتلعها الغياب.

كانت هناك مكالمة قصيرة،

لم تتعدّ الثواني،

من رقمٍ مجهول... بلا اسم، بلا عنوان، بلا ملامح.

بدأ رحلته في الأسئلة، واحدًا تلو الآخر... أصدقاؤها، زميلاتها، كل من ترك أثرًا في هاتفها.

كان صوته هادئًا، لكن عينيه...كانتا تغليان بالأسئلة.

"آخر مرة كلمتك إمتى؟

كانت مضايقة ؟

قالتلك على حاجة؟"

ومع كلّ إجابةٍ يتلقّاها، كان اليقين يتسلّل إليه:

الدائرة مغلقة...

كلّ خيطٍ يقوده إلى حائطٍ صامت، لا نافذة فيه ولا باب.

لكنه لم يتوقّف. ظلّ ينقّب في الذاكرة،

لا ذاكرته هو، بل ذاكرة ليلى...

من كان مقرّبًا منها؟

من وثقت به دون أن تنتبه؟ من عبر حياتها دون أن يترك ظلًّا؟

من كان يرتدي قناعًا بارعًا، قادرًا على التسلّل دون أن يراه أحد؟

جلس في العتمة، وحيدًا إلا من صوته الداخلي،
يسمح لكلّ لحظةٍ قديمة أن تعود...

ضحكاتها،
سكونها،
تلك النظرات التي كانت تقول أكثر من الكلمات،
كلّها مرّت أمامه، كأنّها تعرض عليه جزءًا من الحقيقة.

وفجأة...وميضٌ خافت، كشعاعٍ وحيد في نهاية نفقٍ طويل،

"آدم"...

الاسم خرج من ظلال الذاكرة، كأنّه نداءٌ خافت من قاعٍ عميق...
شخصٌ لم يكن يومًا في الواجهة، لكنّه لم يغِب.
كان حاضرًا دومًا... بحضوره الصامت، كظلٍّ لا يُلاحَظ، لكنه لا يفارق.

هادئٌ ويعشقها ، أكثر من اللازم.
كلامه موزون، مهذّب، لكن عينيه لا تُفصِحان عن شيء.

لماذا ظهر اسمه الآن؟

كأنّ العقل، في لحظة ما، أخرج ما كان يدفنه تحت ركام التفاصيل.

ليس الأقرب، وليس الأوضح،

لكنه... الأخطر ربما.

"نـهايـة الفصل الثانـي"

الفصل الثالث
ظلال الحقيقة

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل. يجلس حسام وحيدًا في مكتبه، يتلحف سكونًا ثقيلًا يتخلله ضوء خافت بالكاد يلامس ملامحه المتعبة ، الحاسوب أمامه مفتوح منذ ساعات، ويده لا تزال تقلب بين القوائم دون انقطاع.

كان يبحث علي رقم واحد... رقم آدم .

ولكن لم يكن من السهل الوصول لهذا الرقم. وسط مئات الأرقام والبيانات، كان يحاول أن يستبعد أي رقم قد تكون له صلة بيوم اختفاء ليلى

ساعات طويلة من البحث، عينه تتألم، وكان قلبه يقرع صدره من التعب... حتي ظهر الرقم.

انقبض قلبه، لكنه دوّن الرقم بسرعة... ثم ضغط زر الاتصال

رنّة.

رنّتين .

آدم بصوت هادي، غير متوتر كأنه كان يتوقع المكالمة: "ألو؟ "

حسام بحذر: "مساء الخير"...

آدم بتلقائية: "مين معايا؟"

حسام: "أنا... اللواء حسام، والد ليلى".

آدم لحظة صمت قصيرة : "أهلاً يا عمي، عامل إيه؟ بس... الرقم ده جديد؟ معرفتوش."

حسام بهدوء: ‘‘رقم خاص بالشغل. مش بستخدمه كتير. كنت عايز أكلمك في كلمتين بس’’.

آدم بنبرة مرتاحة: ‘‘خير يا عمي؟ في حاجة؟’’

حسام: ‘‘مش حاجة كبيرة... كنت بسأل، ليلى كلمتك قريب؟’’

آدم: ‘‘لا والله، ماحصلش. زي ما حضرتك عارف، إحنا بعيدنا من زمان ، ومفيش تواصل بينا. في حاجة حصلت؟’’

حسام يحاول الدخول من مدخل نفسي: ‘‘هي كانت بتتكلم عنك من شوية... قالت كلام حلو. قالت إنك كنت شخص كويس، وإنك كنت من أحسن الناس اللي عرفتهم. حسّيتها مشتاقة شوية، فقولت يمكن تكون كلمتك أو حاجة’’.

آدم صمت لحظة، وثم قام بالرد بنبرة باردة :

‘‘ لا، ماكلمتنيش ياعمي بصراحة. وإنت عارف إن اللي بينا خلص خلاص. مش شايف إن في داعي نرجع نحفر في حاجة خلصت.. الموضوع بالنسبة لي خلص. وهي كمان واضح إنها كملت حياتها.’’

سطر داخلي – في بال آدم

’’انا عارف كويس ان حسام بيحاول يلين مشاعري... يحرك فيا حاجة...‘‘

لكن آدم كان مستعدًا، يعلم أن تلك المكالمة ستأتي يومًا ما

حسام يحاول ان يبدو طبيعيًا: ‘‘طيب... إنت فين اليومين دول؟’’

آدم: ‘‘في البيت. في حاجة؟’’

حسام: ‘‘قولت أعدي عليك، في موضوع محتاج أتكلم فيه معاك وش لوش’’ .

آدم: ‘‘تمام يا عمي، أنا مستنيك’’.

الضوء الخافت في المخزن لا يزال يتراقص على الجدران المتشققة،وليلى ممدّدة على الأرض، جسدها منهك، لكن عينيها لا تغمضان...

تفكر، تبحث عن مخرج، غير أن الأمل يتضاءل شيئًا فشيئًا

سمعت وقع خطوات آدم يتردد داخل المكان، نفس الخطوات الثقيلة، ونفس رائحة الغبار والبرد التي ترافق حضوره دائمًا

وقف امامها، نظر اليها لفترة، ثم قال بصوت هادي جداً... غريب في رقّته :

آدم: ‘‘واضح إن أبوكي بيحبك أوي’’...

ليلى لم تجل، ولكن عنيها تحركت اليه.

آدم ببطء:

‘‘عارفة؟ من نبرة صوته وهو بيكلمني... حسيت بيه.

كان بيحاول يبان قوي... بس صوته كان مرعوب.

زيي كده، أول مرة كنت بشوفك... خايف أفقد اللي بحبه قبل ما حتى أملكه".

صمت لحظة، ثم اقترب أكثر:

"أبوكي مستعد يعمل أي حاجة علشانك...

يبيع روحه، يعادي العالم، يكسّر الدنيا ...

بس عمره ما هيقدر يمنع اللي جاي" .

امتلأت عينا ليلى بالدموع، لكنها لم تسقط. تحاول أن تبقى صامدة، حتى وإن كان كل شيء في داخلها يتهاوى بصمت

آدم بصوت منخفش:

"أصعب حاجة في الدنيا إن اللي بتحبه يتاخد منك...

مش لأنه مات، لأ...

لأنه قرر يبعد، كأنه بيقولك: أنا مش محتاجك".

بص ليها مباشرة:

"أبوكي بيحبك...

بس أنا ؟

أنا كان كل عالمي إنتِ. "

آدم بهمس:

"أنا همشي دلوقتي...

بس راجعي نفسك، وفكري:

هو هيلاقيك قبل ما أنا أخلصّ حكايتي؟"

صمتَ للحظة، ثم مضى بخطًى هادئة، وتركها في ظلامٍ لم يكن فقط غيابًا للضوء، بل غيابًا لمشاعرها التي بدأت تتشقق من الداخل

خرج من باب المخزن الحديدي، وتركه يُغلق خلفه بصوتٍ ثقيل، كأنما يُغلق على روحٍ لا جسد.

كان يعلم أن نظرته الأخيرة إليها لن تُفهم، ويعلم أن كلماته لم تكن مجرد حديث...

بل اختصارٌ لألمٍ قديم، مكسور، محترق في أعماقه.

هو لم يهرب، بل غادر ليواجه ما تبقّى به من إنسان.

لكن عقله... لم يكن يصمت

"أنا مش بكرهها...

أنا بكره الجزء اللي سابني فيها، وأنا واقف، مستني، مش فاهم.

أنا مش عايز أؤذيها...

أنا عايزها تحس اللي أنا حسيته،

الفراغ ...

الخيبة...

الخذلان اللي بيجي من أقرب حد".

وصل الى سيارته. الخارج صامت، ولكن داخله كان يعجّ بضجيج الأفكار

"أبوها ؟

راجل، قوي، بيدوّر عليها ؟

جميل...

أنا كنت كده في لحظة...

بس محدش دوَّر عليّ وأنا كنت بضيع. "

فتح باب السيارة، وركب.

أغلق الباب بهدوء، لكن في داخله كان هناك شيء يتحطم بصوتٍ مدوٍّ

"أنا مش هاهرب،

أنا هخليه ييجي لحد عندي،

ويسأل،

ويفكر إنه هيوصل للحقيقة،

بس الحقيقة ؟

الحقيقة أنا اللي بكتبها" .

أدار السيارة، فانبثق الضوء في عينيه، لكنه لم يرمش

"الليلة دي؟

مش بيني وبين حسام...

الليلة دي بيني وبين العدالة اللي ماجتش.

بين سؤال اتسأل زمان:

ليه أنا ؟

ليه اتسِبت ؟

ليه مافيش حد قاللي: أنا شايفك؟"

داس بنزين، والعربية اتحركت.

لكن الذي تحرك أكثر... كان الشبح القابع في داخله.

وصل آدم إلى الشقة.

توقّفت السيارة في هدوء، ونزل منها كما لو كان ذاهبًا في زيارة عادية، لا مواجهة مع والد الفتاة التي اختفت.

دخل من البوابة، صعد السلم بخطى ثابتة، وأدخل مفتاحه في الباب دون تردّد.

فتح الباب...

نفس الرائحة، نفس السكون...

لكن اليوم، لكل شيء معنى مختلف.

دخل وهو يخلع معطفه، ألقاه على الكرسي كما لو كان يتخلّص من كل التعب الذي أثقل كاهله.

"دلوقتي... كل تفصيلة هنا لازم تكون محسوبة" .

نظر حوله.

الأريكة مرتّبة، الكتب مصطفّة على الرفوف، والحاسوب المحمول فوق الطاولة، مفتوح على ملفات عمل قديمة للغاية... لكنها منظمة.

دخل إلى المطبخ، قام بتشغيل الغلّاية.

ليس لأنه يرغب في احتساء شيء، بل فقط ليصنع صوتًا... صوتاً طبيعياً يعيد للمكان بعض الحياة.

عاد إلى غرفة المعيشة، ثم جلس.

ظهره إلى الجدار، ووجهه نحو الباب

"لما يدخل...

هيفتكر إنه داخل بيت بني آدم طبيعي،

بيت مافيش فيه غير شاب عايش لوحده،

يمكن لسه بيتوجّع من حب قديم ،

لكن مش مجنون، ولا خاطف، ولا قاتل".

ولكن بداخله، سكون مرعب.

"أنا مش خايف منه،

أنا خايف عليه...

لأن لو حاول يقرب من الحقيقة،

هضطر أوريه الوش اللي هو مش مستعد له".

بص في ساعة الحيطة...

"قرب يوصل.

أيوه كده... خلينا نلعب" ..

كانت السيارة تشق الطريق بسرعتها، وعجلاتها تصرخ فوق الإسفلت المظلم.

الليل ساكن، صامت كالقبر، لكن داخل السيارة... كان هناك إعصار.

اللواء حسام يقود كأنّه يطارد شبحًا، ملامحه قوية لا تهتز،

لكن عينيه...

كانت مشتعلة كالجمر، تفضح ما لا يقوله الوجه

"لو هو اللي في دماغي...

يبقى كل حاجة دلوقتي بتتحدد.

لو هو مش هو...

يبقى أنا هفضل طول عمري مكسور، وشاكك في كل لحظة فاتت".

الكرسي المجاور له كان يحمل حقيبة سوداء، مفتوحة:

- جهاز تسجيل صغير للغاية، لا يُرى بسهولة.
- مسدس صغير، محشو، وجاهز لأي طارئ.
- دفتر ملاحظات، يحتوي على كل نقطة وصل إليها، كل اسم، وكل توقيت.
- جهازي تتبّع دقيقين، يصعب رصدهما، معدّين لأقصى درجات التخفي

"أنا مش رايح أتكلم...

أنا رايح أسمع.

وأراقب.

وأشوف الوش اللي مستخبي ورا الابتسامة".

كلّما مرّ تحت مصباح، انقسم وجهه بين نور وظل، وكأن ملامحه تتبدّل مع كل ثانية، كأن الضوء يفضح شيئًا داخله... ويتراجع قبل أن يكشفه تمامًا.

"لازم أعرف ...

لازم أفهم قبل ما أخسر بنتي للأبد" .

صوته خرج هامس :

"آدم...

لو كنت إنت،

هتندم إنك خلتني أكتشف ده متأخر".

سحب نفس عميق...

الشارع الذي تقع فيه شقّة آدم بدأ يتسلّل إلى رؤيته

"اللحظة وصلت .

وأنا مش داخل راجل مكسور...

أنا داخل أب...

وجندي راجع من آخر معركة في روحه".

وصل حسام للعقار.

لم يقف أمام الباب، بل تجاوز الشارع، ودار من ناصية أخرى، وأوقف سيارته بعيدًا عن الأنظار.

أطفأ أنوار السيارة، أغلق الهاتف، وأخذ جهاز التسجيل الصغير والحقيبة.

خرج من السيارة، ووقف في الظلام، يراقب العمارة من بعيد.

مرّ الوقت ببطء...

قرابة نصف ساعة وهو واقف في الظل، يراقب النافذة، المدخل، وأي حركة.

آدم لم يخرج.

النور ثابت.

لكن هذا الثبات بحد ذاته... علامة.

"الهدوء مقصود.

مفيش حد طبيعي بيبقى كده وهو مستني والد البنت المختفية...

لو كان بريء ،كان هيبان عليه القلق... التوتر...

بس آدم ؟

هادئ زيادة... زي المجرم اللي جاهز يجاوب قبل ما يتسئل".

رأى حسام ظلًّا خافتًا يتحرك خلف النافذة.

آدم كان في الداخل... يتحرّك ببطء

"يبقى كده متوقعني...

وجاهز".

اخذ نفسًا عميقًا...

راجع خطته في رأسه، واحضر في جيبه الجهاز الصغير.

"أنا اللي هدخل...

بس مش كضحية.

أنا هدخل كصوت،

كمُحقق،

كأب مش ناوي يسامح لو لقاني كنت صح" .

بص لآخر مرة على العمارة، وبعدين بدأ يتحرك...

كان آدم يقف خلف النافذة، عيناه ثابتتان على مدخل العمارة.

رآه... اللواء حسام.

كان يمشي بخطوات محسوبة، رأسه مرفوعة،

لكن نظراته كانت واضحة...

مضطربة.

غير واثقة.

لم يتحرك آدم...

لكن ابتسامة باهتة ارتسمت على وجهه،

كابتسامة لاعب شطرنج رأى خصمه يحرّك أول قطعة.

دخل حسام إلى العمارة.

السكون كان خانقًا... حتى الهواء بدا ساكنًا.

بدأ يصعد السلم...

خطوة...

ثم أخرى...

وقع خطواته على الدرج كان أعلى من الصمت،

أعلى من أي صوت في المكان.

كل درجة يصعدها، كان يصحبها توتر، شك، وسؤال.

أما آدم...

فبقي واقفًا في الداخل،

ساكنًا... لا يتحرّك

كان جسده ساكنًا، ووجهه خالٍ من أي تعبير. لكن عينيه...

كانت تزن اللحظة،

تحسب كل ثانية.

"هو طالع... هو جايلي...

بس مش لوحده.

جاي بشك، بغضب، وبأسئلة أنا حافظها قبل ما هو يفكر فيها".

وصل حسام أمام الباب.

توقف لحظة...

طرق الباب.

دقتان هادئتان...

لكن ثقيلتان.

فتح آدم الباب بهدوء، دون أن يُعِدّ نفسه، دون توتر.

وجهه هادئ...

وصوته خرج ناعماً، كأنه يستقبل قريباً قديما

"أهلا يا عمي"...

"نـهايـة الفصل الثالث"

الفصل الرابع
حوار بين سطور الخطر

"اتفضل يا عمّي..."

دخل حسام، تتحرّك عيناه بسرعة في أرجاء الشقة، يقرأ كل تفصيلة،
ويحسب كل صوت،
لكنه لم ينطق بكلمة... تركه يتحدّث.

أغلق آدم الباب بهدوء، وسار خلفه، مشيرًا بيده نحو الأريكة

"اتفضل ياعمي استريح."

نظر حسام إليه قليلًا، ثم جلس، لكنه لم يُسند ظهره،
ظلّ جالسًا على طرف الأريكة، جسده مشدود،
ويده في جيبه تلامس جهاز التسجيل، شغّله دون أن يبدو عليه اي شيء.

دخل آدم إلى المطبخ، وجاء صوته من الداخل:

"تشرب حاجة؟ قهوة؟ شاي؟ عندي نعناع كمان، بيريّح الأعصاب عشان شكلك متوتر."

جاءه الرد بصوت ثابت:
"مش جاي أشرب، جاي أتكلم".

آدم:

"أنا بصراحة اتفاجئت لما شفتك... يعني، ماكنتش متوقع إننا نتقابل تاني بعد كل اللي حصل.

بس دايمًا كنت شايف حضرتك راجل محترم.."

كانت نبرة حسام هادئة، وعيناه تتجوّلان في المكان من حوله ؛

"الظروف بتخلينا نرجع لحاجات كنا فاكرينها خلصت".

آدم راجع بالشاي، بيحطه قدامه:

"ليلى كويسة؟ اخبارها .. ؟

حسام :

"كانت معايا مبارح بالليل، وبعدين اختفت فجأة... من أقل من 24 ساعة، وده اللي بيشغل بالي دلوقتي. مش قادر أفهم".

آدم وهو يحاول تهدئة الموقف:

"ما يمكن يا عمي راحت عند صاحبتها أو حاجة،

مش لازم تكون في مشكلة كبيرة. دايمًا لما بتزعل أو تحس بشوية ضغط، بتروح تقعد مع أصحابها. هترجع تاني قريب،

أنا متأكد" .

حسام :

‘‘الغريب إن فيه مكالمة وصلتني قبل ما تختفي ليلى. هي كانت بتكلمني وقالت حاجات غريبة ،الصوت كان غير طبيعي. كنت حاسس إن في حاجة مش مظبوطة، لكن ما قدرتش أفهم بالظبط’’.

آدم(يحاول الحفاظ على هدوئه) :

‘‘مكالمة؟! يعني إيه اللي قالته بالظبط ؟ كانت متوترة أو قالت أي حاجة مش طبيعية؟’’

حسام :

‘‘ما قالتش حاجة واضحة، لكن كان في نوع من القلق في صوتها. زي ما لو كان في حاجة بتقرب، بس ما قدرتش أكتشفها. كانت بتقول لي إنها حاسه ان فيه حاجة غريبة ،

لكن حسيت إن في حاجة غلط’’.

آدم :

‘‘ ممكن تكون كانت مشغولة أو مافيش حاجة تانية.

يمكن راحت عند صاحبتها أو حاجة زي كده، وهترجع تاني’’.

حسام:

‘‘أنا مش شايف الموضوع كده. المكالمة كانت غريبة، حسيت إن فيه حاجة مش واضحة، وأنا مش مرتاح من كده. ليلى مش من النوع اللي يختفي كده’’ .

آدم يحاول أن يقترح حلولًا عملية..

حسام بجدية :

‘‘معايا التسجيل للمكالمة دي. كنت حابب أشاركه معاك لأن فيه حاجة غريبة في الكلام ’’.

آدم :

‘‘ممكن أسمعه؟ ’’

حسام يخرج جهاز التسجيل من جيبه ويعطيه لآدم.

حسام: ‘‘اسمعه بنفسك’’.

أخذ آدم الجهاز بيدين ثابتتين، وبدأ في الاستماع إلى التسجيل.لم يُسمع في المقطع أي صوت له، فقط صوت ليلى وهي تتحدث،

مما جعله يبدو طبيعيًا للغاية، رغم أن بعض الكلمات بدت غير واضحة في سياق المكالمة.

آدم بابتسامة صغيرة بعد أن أنهى الاستماع :

‘‘الصوت طبيعي جداً. يمكن كانت مش مرتاحة أو في حاجة تانية حصلت.

مش شايف أي حاجة مش عادية في الكلام’’.

حسام بحزم :

"اللي سمعته مش طبيعي، صوتها كان واضح فيه الخوف، قالت إنها حاسة بحاجة مش طبيعية، مش قادرة توصفها. ده مش مجرد كلام عادي".

آدم :

"أنا بحاول أهديك وأطمنك".

آدم يتنفس بعمق، يحاول أن يسيطر على الموقف.

آدم بنبرة أكثرجدية :

"أنا رأيي نروح دلوقتي نعمل بلاغ في الشرطة. نجيبهم يساعدونا،

وده ممكن يخفف عنك الضغط شوية ويطمّنك أكتر. في النهاية إحنا الاتنين بنحاول نلاقيها."

نظر حسام إليه بتركيز، وعيناه تبحثان، تحاولان التقاط علامة، رعشة،

أو حتى نفسٍ خاطئ.

لكن آدم كان ثابتًا... أو على الأقل، يحاول أن يبدو كذلك

السطر الداخلي داخل عقل حسام:

"لو هو ورا اللي حصل... يبقى بعدها عنه قرار ذكي وامان ليها.

بس لو مش هو؟ يبقى أنا بضيع وقت... وليلى؟

ممكن تكون بتموت من الجوع بسبب انه بعيد عنها ... أو من الخوف ".

لحظة صمت بينهما.

آدم :

‘‘أنا معاك في أي خطوة، بس بلاش تظلم نفسك ولا تظلم أي حد.

إحنا نتحرك، ونفتش، ونبلغ... يمكن تلاقيها عند صاحبتها، يمكن ترد عليك تاني،

يمكن تكون بس... محتاجة وقت’’ .

حسام ينهض:

‘‘يلا يا ابني نتحرك ...الا قولي كده... اليومين اللي فاتوا، بتعمل أي فيهم؟ والنهاردة؟ أخبارك إيه؟’’

قالها بنبرة عادية جدًا، كأنها جملة عابرة.

آدم:

‘‘والله يا عمي... اليومين اللي فاتوا كان عندي ضغط شغل، ضغط الشغل الفترة دي خانق ،والنهاردة بقى، قلت أريح... قعدت في البيت طول اليوم، ما عملتش أي حاجة غير إني نمت، اتفرجت على شوية فيديوهات، وشربت قهوتي كالعادة وقاعد معاك دلوقتي ’’.

حسام :

‘‘تمام يا ابني... ماشي، ربنا يهونها’’.

قالها وكأنه صدّق، وكأن شيئًا من الراحة تسلّل إليه... لكن الحقيقة كانت أبعد ما تكون عن ذلك. في داخله، كان هناك شيء لا يمنحه الطمأنينة،

ليس شكًا صريحًا، بل شعور خفي، كصوت داخلي يهمس له: ‘‘خد بالك... متطمئنش بسرعة.’’

حسام:

‘‘يلاّ بينا... كل دقيقة بتعدي ممكن تكون فارقة’’.

آدم :

‘‘معاك يا عمي... وإن شاء الله نلاقيها بخير’’.

كان حسام يسير إلى جواره، لكن عينيه كانت تراقبان خطواته، طريقة مشيه، ونبرة صوته... كل تفصيلة

كان يهمس في أعماقه:

‘‘لو هو فعلاً ليه علاقة، يبقى بعده عنها دلوقتي ممكن يكون بيعرّضها لخطر أكبر... ولو هو مالوش علاقة، يبقى يمكن يساعدني فعلاً... بس لازم أفضل صاحي.’’

ومع كل خطوة، كان داخل حسام صراع: هل آدم بريء فعلاً؟

ولا هو مجرد ممثل شاطر... وبيخبي أكتر ما بيظهر؟

*****

كانت ليلى تشعر أن الوقت لا يمرّ... بل يحطّمها ببطء.

في البداية، كانت تحاول المقاومة، تفكّر، تصرخ، تبحث عن مخرج...

لكن الآن؟

كل شيء انغلق داخل رأسها، وكل فكرة كانت تلسع قلبها كالنار.

يديها تؤلمانها، لكن ذلك لم يكن ما يشغلها.

الخوف الحقيقي كان من كلماته... ما قاله آدم في آخر مرة نظرت في عينيه. جملته ما تزال تدور في أذنيها

"أبوك مش دايم ليك... ومش دايم لي لنفسه" .

هي تحبّ والدها أكثر من أيّ أحد... لكن آدم؟

كانت تظنّه حبيبًا... فاكتشفت أنّه كابوس.

بدأت ترتجف،

ليس من البرد، بل من صورة علِقت في ذهنها تأبى أن ترحل: صورة والدها مُلقًى على الأرض،

غارقًا في دمه... لأجلها.

كلّه لأجلها.

- "لاااا "...

كانت همستها أضعف من أن تتحوّل إلى صرخة،

لكنها كانت مشبعة بكل وجعها، كأنها خرجت من أعماق لا يطولها الضوء

"يا رب لا... ميكونش عمل فيه حاجة... هو مش مجنون... صح؟ هو بس بيحبني...؟"

"بس هو الحب كده ؟

يربطك فـ عمود، ويسيبك تموتي من الخوف ؟

يهدد أعزّ حد عندك ؟

يحرمك من النور، من الأمان، من نفسك؟

هو ده كان آدم... ولا هي اللي ماكانتس شايفة الحقيقة؟ ‘‘

دموعها بدأت تنساب بهدوء، لكن قلبها كان يصرخ بصوتٍ لا يُسمع...ولا يجاوبه شيء، سوى همسات الريح، وصرير الخشب،ورائحة جسدها وهو يتحلّل بصمتٍ خانق.

*****

كان الجو ساكنًا... الصمت ثقيل، كأنّه غطاء خانق فوق صدورهم،

وكل خطوة على السلم كانت تُضخّم صوت دقات قلب حسام...وربما دقات قلب آدم أيضًا، لكن لا أحد قال شيئًا.

هبطوا درجة بعد أخرى،وكان الحوار الوحيد يجري في العيون...نظرات قصيرة، مترددة، كأنّ كلّ منهما يحاول أن يفهم الآخر دون كلمة.

وصلوا إلى الباب... فتح آدم، وترك حسام يسبقه بخطوة، بحركة هادئة... لكنها محسوبة.

عند السيارة، توقّفا للحظة.

ثم كسر آدم الصمت أخيرًا وقال :ـ‘‘تحب نروح بعربيتي؟ ولا بعربيتك يا عمي؟’’

صمت حسام للحظة، كأن السؤال فاجأه،

ولكن سرعان ما قام بالرد، ونبرته كانت تحتوي علي بعض من التعب..

ـ "خلينا نروح بعربيتك... البنزين قرب يخلص من عربيتي.

كنت بقلب البلد كلها بدوّر على ليلى بجنون،

ونسيت حتى أحط بنزين" .

قالها وحوّل نظره بعيد، وكأن الجملة لديها معنى أعمق بكتير من الظاهر.

أدرك آدم المغزى...

كان يعلم الرسالة خفية. لكنه لم يعلّق.

اكتفى بابتسامة صغيرة جدًا...

لم تكن ابتسامة فرح، ولا حتى رضا.

ـ "تمام يا عمي، يلا نركب" .

فتح السيارة، ودخل حسام...

لكن كل واحد منهما كان يحمل عالمًا آخر في داخله.

أحدهما يحاول أن يجد ابنته...

والآخر؟

ما زال يمارس لعبته... بثقة... وصبر.

داخل سيارة آدم – بعد دقائق من الركوب

الهدوء ما زال سيّد اللحظة...لكن حسام لم يكن ساكنًا في داخله.
عيناه تتحركان في كل تفصيلة...المقاعد، الأرض، الدواسات، لوحة القيادة...
يبحث عن أي خيط، أي شيء قد يفلت...رائحة، قطعة قماش، شعرة...
أي دليل يربطه بمكان ليلى.

آدم، أثناء القيادة، كان منتبهًا...لكن ليس على الطريق فقط.
يشعر بنظرات حسام... ويشعر أن كل حركة منه تحت المراقبة.

لكن آدم كان مستعدًا... السيارة أنظف من عيادة طبيب الأسنان.
لا شيء في غير موضعه.

- "بتدور على حاجة معينة يا عمي؟"
قالها آدم ...

قال حسام، بكل هدوء:
- "لا... بس الواحد دماغه مش قادرة تهدى،
محتاج أي حاجة تساعدني أفهم... أي حاجة تقولي بنتي فين".

آدم حرك راسه بتفَهُم:

ـ "معاك حق والله ...

ولو في أي حاجة أقدر أعملها، هعملها...

بس صدقني، أنا نفسي مش قادر أصدق إن ليلى اختفت".

صمت حسام...

لم يستطع أن يحدّد...

هل آدم بريء؟ أم ممثل بارع؟

الشارع هادئ، والإضاءة الصفراء تنعكس على الزجاج الأمامي.

الجو خانق، رغم أنّ النوافذ مغلقة والمكيّف يعمل.

كان حسام جالسًا إلى جوار آدم، ملامحه ثابتة، لكن عينيه لا تفارقان المرآة ...

لاحظ أنّ آدم يراقبه... نظراته تتكرر، سريعة، لكنها مقصودة.

حسام بصوت داخلي :

"كل شوية تبص لي في المراية؟ قلقان؟ بتتأكد إني لسه جنبك؟"

ظهرت ابتسامة باهتة على طرف شفتيه، وبهدوء، وبحركة محسوبة، أنزل يده إلى جيبه، وأخرج جهاز تتبّع صغيرًا جدًا، يكاد يُرى لحجمه الدقيق.

وأثناء تعديله لمعطفه، دسّ الجهاز تحت المقعد.

لاحظ آدم الجهاز... شدّت عينه نحوه، لكنه لم يعلّق. استمرّ في القيادة .

وصلوا إلى القسم، ودخلا معًا. كُتب البلاغ، ووصف حسام حالة ابنته بدقّة.
ورغم ثبات صوته، إلا أن القلق كان ظاهرًا في كل كلمة.

بعد الانتهاء من البلاغ، غادرا، وركبا السيارة مجددًا.

في الطريق، بدت نظرات آدم أقل توترًا،
وصلوا أمام منزل حسام، فأوقف آدم السيارة.

آدم:
"لو حصل أي جديد يا عمي... حتى لو بسيط، كلمّني على طول، ماشي؟"

حسام :
"أكيد يا بني... أول مكالمة هتبقى ليك".

خرج حسام من السيارة، وقف برهة ينظر لآدم... ، واغلق الباب من خلفه.

ظلّ آدم صامتًا... للحظات، ثم حرّك السيارة وانطلق. أما حسام، فبقي واقفًا في مكانه... لم يتحرّك.

كان آدم يقود بهدوء، لكن عينيه كانت تعود كل حين إلى الجهاز...

يعلم أنه مُراقب، لكنه يُفكر بعناية.

آدم :

"أكيد حسام حطلي جهاز تتبع... بس مش هعمل أي حاجة دلوقتي، لازم أكون ذكي... هستنى لما أوصل للبيت وارميه تحت العربية ويفتكر ان الفخ نجح والعربية مركونة . "

تواصل السيارة طريقها في صمت...

تتوقّف السيارة... تحت البيت.

يمكث آدم داخلها قليلًا، وكأنه ينتظر أن تمرّ اللحظة،

ثم يفتح الباب ويخرج.

ينظر حوله بتأنٍّ...ثم، بهدوء، يفتح الباب وينحني أسفل المقعد.

آدم بصوت خافت:

" لقيتك".

يسحب جهاز التتبع، ينظر إليه بسخرية، ثم يتحرك ويدور حول السيارة.

ينحني في بقعة مظلمة، ويلقي بالجهاز اسفل السيارة بحركة دقيقة.

آدم بهمس:

" لو طلع ذكي... فأنا أذكى".

ثم يدخل البيت... مطمئنًا

"نـهايـة الفصل الرابـع "

الفصل الخامس
قبل أن ينكسر

ادم يحمل كيسًا صغيرًا بين يديه، داخله بعض الأشياء التي طلبتها ليلى، أشياء لم تكن مهمة في حد ذاتها، لكنها كانت كفيلة بجعله يجوب المدينة كلها حتى يجد النوع الذي يعجبها. كانت غرفتها دافئة، لكن قلبها... كان أبرد من مساء ديسمبر.

دخل بحذر، كأنه يخشى أن يوقظ شيئاً نائمًا بينهما .

كانت تجلس على اطراف السرير، تقلب في هاتفها، عيناها لا تراه، أو تتجاهله عمداً. رفع الكيس أمامه بابتسامة خفيفة وقال بصوت منخفض:

"جبتلك اللي طلبتيه... لفيت كتير عشان ألاقيه" .

لم ترد فورًا. اكتفت بضحكة قصيرة خرجت منها بلا روح، ثم قالت دون أن تنظر إليه:

"أخيرًا بدأت تفهم ذوقي... اتأخرت شوية بس مش مشكلة."

لم يعرف كيف يفسّر تلك الكلمات. أهي سخرية؟ أم رضا مغطى بالبرود؟ حاول أن يقف قريبًا منها، وكأن القرب الجسدي قد يرمم المسافة النفسية الهائلة بينهما:

"كنت عايز أشوفك مبسوطة... فكرت نخرج بكرة زي زمان؟ نرجع نضحك زي قبل كده؟"

رفعت رأسها أخيرًا، ونظرت له نظرة قصيرة، بها من اللامبالاة ما يكفي لإطفاء حريق قلبه : "بكرة؟ لا... عندي حاجة. وبعدين، آدم، مش لازم نفضل نحاول نرجّع حاجات خلصت. كل حاجة بتتغير".

كلمتها الأخيرة ارتطمت بداخله كحجر في بركة ساكنة. ابتلع مرارته بصمت، وحاول أن يبدو طبيعيًا.

ادم :

‘‘أنا بس مفتقد الأيام دي... لما كنتِ بتضحكي، ولما كنتِ تحكيلي كل حاجة. ’’

ابتسمت وقالت :

‘‘كنت بضحك عشان محتاجة أضحك ’’....

وساد الصمت. لكنه لم يكن صمت راحة، بل صمت من يعرف أنه لم يكن أكثر من لحظة مؤقتة في حياة شخص آخر.

تقدمت نحوه، أخذت الكيس من يده، وقالت:

‘‘شكرًا، يا آدم.’’

ابتعدت بعدها دون أن تنتظر منه رداً. وقف وحده، في منتصف الغرفة، وحيداً كعادته. لم يكن يحتاج لأن تقول له الحقيقة صراحة... كان يشعر بها. في نظراتها. في كلماتها. في الطريقة التي كانت دائمًا تتحدث بها وكأنها تنتظر شخصًا آخر... وليس هو .

****

ليس هناك صورة واحدة لها.

ولا ذكرى.

ولا حتى رائحة عطر قديم في ثيابها.

وُلد آدم في يوم قائظ، لكن قلبه تجمّد منذ أن تنفّس أول مرة.

ماتت بعد ولادته، وتركته لرجل لم يكن مستعدًا ليكون أبًا، ولإمرأة أخرى كانت تراه عبئًا لا جدوى منه.

كبر على صريخ، على أوامر، على "قوم نظّف"، و"اطلع برا"، وعلى نظرات احتقار تسأله كل يوم:

"هو أنا مضطرة أشوف وشك كل صباح؟"

كان يرى أصدقاءه وهم يركضون إلى أحضان أمهاتهم،يسمعهم يتحدّثون عن طعامهن، عن دفء أحضانهن.

وهو ؟

كان يركض من البيت، لا إليه. كان يفرّ، لا يغادر .

وكلما يسأل عن والدته، كان الرد دائما واحد :

"ماتت... ارتاحت. وانت السبب" .

كبر آدم يحمل ذنبًا لم يكن ذنبه.

وربما لذلك... حين ابتسمت له ليلى أول مرة، شعر وكأنها أول حضن في حياته.

وأول خيط من الدفء.

*****

كان الليل صامتًا.

يجلسان على الرصيف، إلى جوار كشك مغلق، والضوء البرتقالي فوقهما خافت، كأنه يخجل من أن يشهد على ما يحدث.

نظرت إليه ليلى، بنظرة نصفها سخرية، ونصفها حزنٌ مُزيف.

"إنت لسه لابس الجاكيت ده؟ ده شكله كان بتاع أبوك ".

ضحكت، والضحكة جرحته أكثر من أي كلمة .

آدم ضحك معها... ضحكة مكسورة.

"ماهو فعلاً... كان بتاعه. "

لم تكن ليلى تقصد، أو ربما كانت.

لكن كل كلمة منها كانت تفتح جرحًا قديمًا.

أحيانًا، كان يشعر أن ليلى ذاتها تُكمل دور الأم التي افتقدها، لكن بدلًا من الضم... تمنحه جرحًا.

وبدلًا من الحنان... تُلقي عليه عبئًا نفسيًا ثقيلًا، ثقيلًا جدًا.

"إنت ليه دايمًا ساكت كده؟ مش بترد؟"

سألته وهي تنظر بعيدًا.

ادم:

"علشان كل اللي في قلبي... مش هينفع يتقال".

كانت ترى فيه ضعفًا، لكنه كان يراها أمانًا.

كانت تكسره، ومع ذلك، كانت في عينيه الحلم.

ومهما فعلت...

كان يحبها، لأنه لا يعرف شعور الحب.

*****

كانت ليلى تُمسك بكوب الشاي بيدٍ مرتجفة قليلاً ، وعيناها تبحثان بلا وجهة؛

كأنها تفتّش عن شيء ضاع منها منذ زمنٍ بعيد.

أما ملك، وبينما كانت تقلّب السكر في فنجان قهوتها ببطءٍ محسوب،

قالت بنبرةٍ يعتريها شيء من الدهشة:

‘‘آدم جيبلك الهدية اللي بتحبيها... أنا لو حد عمل كده، هطير من الفرحة ’’.

ليلى رفعت عينيها وقالت:

‘‘آدم بيحاول... وده شيء محترم’’ .

سكتت لحظة، وبصت للهدية اللي على الترابيزة، كانت ملفوفة بعناية، بس مافتحتهوش.

‘‘بس أحياناً المحاولة بتكون صوت ضعيف وسط دوشة جواك مش بتسكت.’’

ملك قالت :

‘‘بس إنتي...إنتي مش شايفاه. إنتي شايفة الفراغ اللي سابه اللي قبله‘‘

ثم سألتها وهي تراقبها:

‘‘هو إنتي مرتاحة معاه؟’’

ابتسمت ليلى ،ثم شرعت تعبث بخاتمٍ في يدها:

‘‘هو زي كتاب مفتوح... كل صفحة فيه بتقول: أنا هنا علشانك’’.

وقفت لحظة، ثم استمرت:

‘‘بس المشكلة مش في الكتاب... المشكلة إن قلبي بقى مش بيعرف يقرأ تاني’’.

ملك تنهدت ثم قالت:

‘‘يمكن علشان لسه فيه اسم تاني مكتوب على السطر الأول ’’.

لم تُجب ليلى، لكن يدها كانت تُطبق على الخاتم بشدّة...

كأنها تحاول أن توصد بابًا في قلبها، ولكنها لا تملك المفتاح .

*****

كانت الشمس تميل نحو المغيب بخجل، والهواء يحمل نسماتٍ باردة خفيفة.

آدم يقف في وسط الحديقة، يرتدي قميصًا بسيطًا،

يداه خلف ظهره، وعيناه معلّقتان بباب المنزل.

خرج اللواء حسام، يسير وصوته يسبقه:

‘‘إنت مستني ليه؟’’

آدم :

‘‘كنت جاي أطمن على ليلى، بس لو مش مناسب الوقت ممكن أرجع–’’

قاطعه اللواء، لم تكن نبرته صارخة، لكن كل كلمة خرجت منه كانت كحدّ السكين:

‘‘إنت ما بتزهقش؟ كل شوية تيجي؟ بتفتكر وجودك هنا بيغير حاجة؟’’

آدم حاول أن يرد، لكن الكلمات خانته... قلبه يخفق بسرعة، وعيناه انسحبتا إلى الأرض.

اللواء دار من حوله وقال:

‘‘عارف... لما ببصلك، بحس إني شايف واحد بيتعلق بحبل مش مربوط في حاجة. بتتعلق ببنتي كأنك لاقي فيها طوق النجاة... بس الحقيقة؟ أنت اللي غرقان’’.

عضّ آدم على شفتيه، وفي داخله بركان.لكن ملامحه ظلّت هادئة، كأن الإهانة لم تبلغه.

كان حبّه لليلى أقوى من أي ردّ، وكان يعلم أن مواجهة اللواء ليست مجرّد خسارة... بل نهاية.

واصل اللواء حديثه بنبرةٍ باردة:

‘‘بنتي متتجوزش من اللي يشحت مشاعرها بكلمة ولا بهدية. إنت بالنسبالي... مجرد صدفة في وقت غلط’’.

آدم :

‘‘أنا يمكن أكون قليل... بس حبي ليها عمره ما كان صدفة’’.

*****

كان آدم يحدّق في البعيد،عيناه شاردتان، وكأن عقله قد ارتحل إلى مكانٍ آخر.

كانت ليلى إلى جواره،لكنها كانت تشعر دائمًا وكأنه لا يكون معها حقًا.

نظر في عينيها للحظة ،وكأن ما بداخله من كلامٍ كان يضغط عليه بثقلٍ لا يُحتمل:

"عارفة،...".

"أنا ساعات ببص للناس بطريقة غريبة، كأني شايف فيهم حاجة تانية، حاجة أنا مش قادر أوصل ليها. يعني، أنا بحب ناس مش دايمًا بيحبوني. دايمًا بتكون فيه حاجة في عينيهم مش واضحة لي، بس أنا بحاول أفهمهم، يعني بحبهم" .

قالها بصوت منخفض، وهو يتنهد بعمق.

فاجأتها كلماته، وشعرت بتوتّرٍ خفي في نبرته.

أرادت أن تسأله، لكنها آثرت الصمت...منتظرةً أن يُكمل.

"لكن ساعات، بحس إني مش قادر أهرب من نظراتهم، حتى لو كانوا بيشوفوني غلط، حتى لو كانوا مش شايفينني زي ما أنا شايفهم".

آدم ابتسم ابتسامة مريرة، وقال:

"وأنا... أوقات بعرف أقرأ اللي في دماغهم، بحس إنهم مش عايزينني، وبندم على إني افتكرت إنهم ممكن يحبوني".

لمحت ليلى نظراته، وهو يحاول تخبئة مشاعره، ولكن كانت عيونها مليئة بالأسئلة.

"وفي الاخر، كل حاجة بتفضل زي ما هي... وأنا اللي بضيع وسط كل ده" .

ظلّت ليلى صامتة، كأن كلماته أغرقتها في دوامةٍ من الأفكار،

لكنها لم تكن تعرف كيف ترد.

كان في صوته شيءٌ غريب... كأن آدم لا يعترف لها، بل يعترف لنفسه، أكثر مما يحاول أن يفتح قلبه لها.

*****

نظر آدم في عيني ليلى، وكأن الكلمات كانت معلّقة على طرف لسانه،

لكنه تردّد قليلًا قبل أن ينطق. وأخيرًا، بدأ الحديث :

"أنتِ عارفة أخوكي الصغير، صح؟... هو شبهي في حاجات كتير... بس مش زي ما الناس فاكرين. محدش بيحب يصاحبه، مفيش حد بيروح معاه المدرسة. دايمًا لوحده."

كان آدم يحدّق في البعيد ، كأنه لا يرى الحاضر أمامه وكانت الكلمات تسقط من قلبه... لا من فمه...."انا اكتر واحد فاهمه"....من غير ما يتكلم، من غير ما يحس أنه لازم يبدي أي تعبير. عارفه؟ زي أنا تمامًا في سنه. "

*****

آدم:

"ممكن تشرحي لي؟ ليه بقت المسافة بيننا أكبر من أي وقت فات؟ إحنا كنا متفاهمين، كنتِ عايزة نكون مع بعض. أنا مش فاهم".

ليلى:

"أنت كنت دايمًا شخص طيب، آدم. بس طيبتك دي ما بتخدمكش. أنا كنت محتاجة حاجة تانية، حاجة تخليني أحس إن في فرق بيني وبين الناس اللي حواليا. وأنت؟ كنت عايش في عالمك . ماشي زي ظل ورايا ."

آدم:

"وأنا مش كفاية؟ يعني، كل الكلام اللي قولته ليا، كل اللحظات... كانت كذبة؟"

ليلى:

"آدم، بجد، إنت مش فاهم. كنت بحتاج حاجة تطلعني من اللي أنا فيه، لكن معاك حسيتني إنني واقفة في نفس المكان. كنت دايمًا مش مناسب. كنت دايمًا أقل من اللي أنا عايزاه. كل حاجة فيك بتقول إنك مش قد المكان ده" .

آدم:

"وأنتِ؟ ما حسيتِش إنك كمان استفدت مني؟ كنتِ متقلبة، مش عارف إنتي عايزة إيه. كنتِ بتستهزئي بي، بتسخري من لبسي، من أسلوب حياتي. إنتِ كنتِ بتلعبي بيا، ليه؟ ليه كل ده؟"

ليلى:

"كنت محتاجة حد يرفعني لبر الأمان، مش حد يسحبني معاه للقاع. كنتِ مجرد رد فعل على حاجة تانية، مش أكتر". .....

*****

آدم يقف على الرصيف، ذاك المكان الذي شهد لحظاتٍ كثيرة جمعته بليلى؛ المكان الذي لم يعد يحمل معنى... سوى ذكرياتٍ محطّمة.

كان الليل قد بدأ يُسدل ستاره، والهواء البارد يلفح وجهه دون أن يشعر به.

أخرج آدم صورة قديمة من جيب سترته؛ كانت الصورة تجمعه بليلى في لحظاتهما السعيدة،

في تلك الأيام التي ظنّ فيها أن الحياة تبتسم لهما معًا.

نظر إلى الصورة،وكأن الزمن قد توقّف هناك،في تلك اللحظة البريئة.

أمسك عود الكبريت بيدين مرتجفتين، وبدأ يُشعل حافة الصورة، واللهب يزحف نحو وجهه فيها ببطء.

لكنه نظر إلى نفسه في الصورة،إلى ذاته وهو واقف بجانبها، ثم نظر إلى وجه ليلى،
الوجه الذي ما زال يحمل كلّ ذكرياته... كلّ حبّه وآماله.

وقبل أن يصل اللهب إلى وجهها، كان قلبه يخفق بعنف.
وبلمح البصر، قفزت يداه لتمسك بالصورة،
وقطع الجزء الذي يحمل وجه ليلى بسرعة،
كأنه يمنع نفسه من أن يحرقها.

الصورة التي كانت تجمعه بها، أصبحت الآن ممزقة،
لكنه أنقذ الجزء الذي يحمل صورتها.

نظر إلى الصورة الممزقة بين يديه، والأطراف المحترقة قبل ان تلامس حافة وجهها.

وفي عينيه دموعٌ معلّقة، وقال بصوتٍ ينزف من قلبه:
" اتحرقت، بس في حتة منها لسه جوايا... دايمًا"

أمسك آدم بالصورة التي تحمل وجهها فقط،

وغادر المكان... كأنه يحاول أن يحمل معها ما تبقّى من ذكرياته، وسط زحام الألم.

"نهاية الفصل الخامس"

الفصل السادس
النـهايـة

‘‘الليل كان ساكن... لكن جوا آدم، كان فيه صخب بيكسر في قلبه. رجله دايسة على البنزين، ووشه ثابت كالصخر،

بس عينه؟ كانت بتلمع كل شوية...نظرة خوف مش مفهومة.

خوف من المجهول... أو يمكن من نفسه.’’

آدم يفكر وهو يقود في طريقه الي ليلى بعد إزالة جهاز التتبع:

‘‘رميت الجهاز... هو كان شاكك، بس دلوقتي هيركن.

خلاص، رجعت أنا اللي بتحكم ...

كل حاجة ماشية زي ما خططت... زي ما لازم ’’.

السيارة توقفت أمام المخزن ، والمطر يقرع الزجاج برفقٍ، كأنه يعدّ أنفاسه الثقيلة.

آدم لم يخرج على الفور، ظلّ جالسًا، يده على المقود،

ونظره شارد في فراغٍ لا يرى.

في داخله... حرب،

ليست بينه وبين ليلى فقط، بل بينه وبين ذاته.

آدم يهمس :

‘‘أحبها...

تلك هي الحقيقة الوحيدة التي ما زالت واقفة على قدميها.

لكنها جرحتني...

تركتني،

ضحِكَت حين سقطتُ، وبكت حين انكسرتُ، لكنها لم تمدّ يدها.”

عضّ شفتيه، وعيونه تلمع...

ليس من المطر، بل من شيء يغلي في صدره.

ادم:

“ هل ده بيبرر اللي عملته؟

هل الحب ممكن يتحول لسجن؟

وأنا؟ أنا دلوقتي إيه ؟

منقذ؟ معذبّ؟ مجرم؟ ولا مجرد طفل كبير بيحاول يصرخ بصوت حد تاني؟”

تسلّل إليه شريط الذكريات،تذكّر ضحكتها... تلك التي كان ينتظرها كمن ينتظر الحياة،وتذكّر كيف كانت تنطق اسمه “آدم”

كأن الكلمة كانت تفتح له بابًا للأمل في عالمٍ مغلق.

لكن الآن؟

ينظر إلى المرآة أمامه...لا يرى ذاك الفتى الذي كان يومًا يحلم، بل يرى ظلًا...

شخصًا يشبهه في الملامح، لا في الروح.

آدم :

"أنا ضايع... وأنا اللي اخترت أضيع.

بس هل ممكن أرجع؟ هل لو فتحت الباب دلوقتي، وأنقذتها، هرجع آدم اللي كان بيضحك وهو شايل شنطته ؟

ولا خلاص؟ فات الأوان؟"

فجأة، ضرب بكفه على المقود ثم قال :

"أنا مش عارف هي اللي أذتني... ولا أنا اللي كنت مستني منها المستحيل.

بس اللي أعرفه، إني تعبت.

وتعبت من نفسي... من دوامة الوجع اللي بسمّيها حب."

أخذ آدم نفسًا طويلًا...اخذ معطفه الجلدي على جسده، ثم فتح باب السيارة.

لامس المطر وجهه،فبرد شيئًا من النار المتأججة في صدره.

بدأ يسير نحو الباب الحديدي،

كل خطوة كانت ثقيلة، كأن الأرض تحاول جذبه إلى الوراء... لكن عينيه بقيتا إلى الأمام،

نحو المصير، نحو المواجهة، نحو ليلى.

دخل المكان الذي كانت ليلى محبوسة فيه.

الهواء خانق، ورائحة الرطوبة ما زالت عالقة في الجدران الباردة كما تركها.

كانت ليلى ساكنة... ربما نائمة، أو تتظاهر بذلك. لكن خطواته أعادت إليها كل الخوف،

كل الذكريات،

لكن هذه المرة، كان الخوف مختلفًا... لم يكن وحده،

بل امتزج بشيء آخر: رغبة في الفهم.

صمت آدم للحظة...نظر إليها كما لو كان يراها للمرة الأولى،

ثم قال بصوتٍ مكسور:

"عارفة؟

ضحكت على أبوكِ"...

رفعت ليلى نظرها ببطء، نظرة لم تكن خوفًا، بل مزيجًا من الاستنكار والخذلان.

آدم كمل، وهو يقترب:

"آه... ضحكت عليه.

خلّيته يصدق إني واحد تايه، عادي... ملوش علاقة بحاجة. حتى لما دخل شقتي، كنت حافظ كل حركة، وكل كلمة ،

كان بيسأل وأنا بارد... بيشك وأنا بابتسم".

ضحك ضحكة ساخرة قصيرة، وهو ينظر الى الأرض:

"بس كان باين... كان باين إنه بيكرهني.

من أول لحظة شافني فيها...

كان شايفني شخص مقرف، مريض ...

عنيه كانت بتقولي: أنت مش بني آدم".

نظر لليلى مرة اخرى، بعين بها وجع في الأعماق:

آدم:

"بس عارفه؟

رغم كرهه ليا، كان واضح إنه بيحبك حب يموت عشانه.

كل سؤال سأله، كل كلمة قالها... بيحارب علشان بنت واحدة...

إنتي".

ليلى بصوت مهزوز:

"وأنت؟ كنت بتحارب ليه؟ "

آدم اقترب منها:

"أنا؟

كنت بحارب علشان حد يسمعني ...

علشان حد يحس بيا ...

بس لما لقيتك، مكنتش عايز حاجة غيرك ."

سكت للحظة، ثم قال بصوت أهدى:

‘‘أنا مش قادر أفسّر كل اللي عملته...

بس كل لحظة فيها، كنت ببص في عنيكي ومستني... مستني نظرة، كلمة، لمحة حزن يمكن تخليني أرجع ’’.

ليلى :

‘‘بس أنت جرّحتني، جرّحت كل حاجة جوايا.’’

آدم بصوت بيكتم بكاء:

‘‘وأنا؟ أنا مكنتش مجروح؟ ،

مكنتش عايز أوجعك... بس ماعرفتش أحبك صح .

ماعرفتش حتى أحب نفسي ’’.

آلاف الكلمات كانت تشتعل في صدره، يريد أن يصرخ بها، لكن الحروف خانته

آدم:

‘‘كنت دايمًا عايز حد يحبني... زي ما أبوكي بيحبك...

هو دلوقتي بيجري وراكي، بيحاول يلقاكِ...

مستني إزاي... مستني زي ما أنا كنت مستني حب...

لكن، ليه؟ ليه هو يلاقي الحب ده وأنا لأ؟

كأن الدنيا كلها بتدور، وأنا واقف مكانى".

ثم قال : "مش موجود عند حد... انا مش مهم ".

نظر الى عيون ليلى، وفيه جزء من نفسه كان بيحاول يتمنى لو هي تشعر بيه،

ولو للحظة....

*****

في السيارة، كان حسام يجلس جانب ضابط زميل، الذي كان يحدّق في الشاشة الصغيرة أمامه بتركيزٍ شديد

حسام :

"أنا كنت عارف إن آدم هيرمي الجهاز الأول، لكنه مش هيعرف عن الجهاز التاني.

ده كان فخ عشان يظن إنه كسب... عشان يتحرك لحد ما نوصل للهدف".

ثم أضاف وهو يناظر الخريطة التي في يد زميله:

"الهدف قدامنا دلوقتي. لازم نكون مستعدين".

الضابط الزميل :

"عندك حق... الجهاز التاني لسه شغال. هو مش هيحس بأي حاجة،

لكن لازم نتحرك بسرعة".

“كل حاجة في الدنيا ممكن تتغير، لكن الأب مش هيقف ولا لحظة في سبيل إنقاذه لأولاده.

أنا عارف إن ليلى مش هتقدر تفهم دلوقتي... لكن في النهاية، أنا اللي هقدر أوقف ده كله” .

قالها حسام وقلبه يحترق كعودِ كبريت.

ثم أضاف، بنبرة جادة:

“عشان ده شرف الأب، ومش ممكن أسمح لآدم يحقق هدفه... لازم أوقفه”.

الضابط الزميل :

“ .اطمئن....بس احنا لازم نتحرك دلوقتي”

*****

في ظلمة المكان، بدأ الضوء يتسلّل فجأة من النافذة الصغيرة، وتلاه صوتُ أقدامٍ تقترب، وهمساتٌ خافتة تزداد وضوحًا.

انتفض آدم واقفًا،اتّسعت عيناه، وتشنّج وجهه، كأنه استفاق فجأة من غيبوبةٍ طويلة.

اقترب من الباب بسرعة،سحب الستار،

ورأى أضواء الكشّافات تمسح الأرض أمام المدخل...

كأنها تبحث عن الحقيقة المدفونة.

‘‘همّ وصلوا... إزاي؟ أنا كنت عامل كل حاجة صح...’’

قالها آدم، وعيناه لا ترى سوى حقيقة واحدة: أنهم قادمون لينتزعوا منه ما تبقّى من قلبه.

عاد مسرعًا نحو ليلى، كانت ملقاة على الأرض،عيناها معلّقتان به،

وخوفها يتسرّب من كل نفسٍ يخرج منها.

مدّ آدم يده إلى جيبه...وأخرج سكينًا،

تلمع شفرتها كأنها تحمل قرارًا لم يُحسم بعد

ثم قال:

‘‘مفيش وقت... مفيش وقت خلاص!’’

انحنى بسرعة،

وبدأ تقطيع الحبال التي كانت تقيّد يديها وساقيها. كانت حركاته سريعة، مضطربة،

كأن جسده يسبق عقله... وكأن شيئًا في داخله يركض هربًا من الزمن.

آدم وهو يقطع الحبل الاخير:

‘‘أنا مش ناوي أسيبك...

فكّ جميع الحبال، ثم وقف،

وأوقفها أمامه بعنف، وجذبها من ذراعها بقوة،

ووجّه السكين إلى عنقها.

صوته ارتجف، ولكن كان مليئاً بالغضب:

"لو حد دخل... لو حد قرب... أنا مش هرحمها ".

كانت ليلى تقف جامدة، أنفاسها متقطعة،
ودموعها ساكنة على خدها، تستمع إلى صوت الأحذية من بعيد، يقتربون...
وكل ثانية كانت تمرّ كأنها عام.

كان آدم ينظر حوله، ويتحدث إلى نفسه أكثر مما يتحدث إليها :
"كلهم جم يدوروا عليكي ... أنا؟
أنا محدش بيدور عليا، كأنيّ مش موجود أصلاً."
"أبوكي بيحبك... بيحبك حب مش طبيعي، مش عارف أكرهه ولا أغار منه...
أنا كان نفسي حد يدور عليا كده ... بس أنا طول عمري لوحدي...

أصبح صوت الخطوات أقرب، وتحولت كل الأنفاس في المكان إلى صمتٍ قاتل...
وفجأة، سُمع صوت حسام من الخارج، كان صوته عاليًا وواضحًا.

اللواء حسام :
"جبتك يا آدم!
كنت متأكد إنك ورا كل ده !"

تصلّب آدم في مكانه، واتّسعت عيناه... وبدأت السكين ترتجف في يده.

اللواء حسام :

"فكرتني سهل؟ فكرتني هصدق

تمثيلك ؟

أنا رميتلك تتبّ ّع تاني!"

بدأ آدم يتراجع خطوتين إلى الخلف، واضعًا السكين على رقبة ليلى بيدٍ مرتجفة.

آدم يحاول الحفاظ على هدوءه:

"إوعى تقرب! والله العظيم لو دخلت خطوة... هتندم!"

اللواء حسام :

"أنت مش قد وجعي يا آدم... أنا دورت على بنتي بكل نفس فيا...

وأنا النهاردة جاي آخدها... مش هسيبها تاني... حتى لو على جثتي".

آدم يقف، والسكين لا تزال عند رقبة ليلى، ولكن يده ترتجف...

حسام يقف أمامه، ثابتًا، يوجّه المسدس نحو رأسه، صامتًا، لكن عينيه تتكلمان.

نظر آدم إلى الأرض، ثم إلى ليلى،

ثم إلى حسام...

نَفَسه جاء ثقيلًا، وبدأت عيناه تدمعان دون أن يشعر.

ادم:

"أنا... كنت فاكر إني هقدر... كنت فاكر إن دي لحظتي...

إنها اللحظة اللي آخد فيها حقي من الدنيا... منكم كلكم"...

كانت يده ترتجف، لكن السكين لا تزال في مكانها. أغمضت ليلى عينيها، ولم يكن هناك صوتٌ سوى نَفَس آدم المتقطع.

ادم:

"عارف يا حسام؟ كنت دايمًا ببص للناس اللي عندها أب بيحبها ...

وبقول: يا بختهم.

كنت بتمنىّ أب بس يقولي 'إزيك' ...

بدأ صوته يصبح اضعف، وعيناه تدمعان، ووجهه ينخفض قطرةً قطرة.

"حتى لما أخدتها، حتى لما حبستها ...

مقدرتش أخليها تحس بيا...

أنا حتى فشلت ف الانتقام... ف الحب... ف إني أبقى بني آدم!"

كانت يده ترتجف بوضوح، والسكين قريبة جدًا شق رقبتها، لكنها لم تعد مستقرة... لم تعد ثابتة كما كانت.

كان آدم يبكي، دموعه تنهمر بحرقة، لكن قدميه عاجزتان عن الحركة، كأنما شُلّ بين نارين.

اللواء حسام :

"انهيارك ده مش هيشفعلك يا آدم...

بس يمكن... ينقذ البنت اللي ظلمتها وانت فاكر إنك بتحبها" .

أغمض آدم عينيه، كأن تلك الكلمات صدمته في روحه... وتركت أثرًا.

واللحظة لا تزال معلّقة... السكين لا تزال في مكانها.

ولكن كل شئ يتحرك داخل آدم.

اللواء حسام :

"نزل السكينة يا حبيبي... مفيش داعي لكل ده ".

يخطو خطوة صغيرة للأمام

"بنتي خلاص قدامك... بس هي مش السبب ف اللي انت فيه.

انت موجوع... بس موجوع من ناس تانية".

آدم ينهاراكثر:

"انتو...

دمرتوني

الدنيا كلها دمّرتني!

محدش حاول يفهمني...

عينه تذهب الى ليلة بحزن :

"حتى وانتي... بعد كل السنين، مافكرتيش ف وجودي".

السكين أوشكت على السقوط ، لكنها ما زالت معلّقة بيده...

كأنه عاجز عن إفلاتها، كأنها آخر ما يظنّ أنه قادر على التمسك به.

اللواء حسام بصوت أبوي :

"وإحنا كمان بنتكسر يا آدم... كل يوم بنتكسر... بس بنحاول نقوم".

ينظر اليه بعين حزينة، ويكمل بهدوء:

"مكنتش عايزك تبقى كده.. كنت أتمنى تكون شخص تاني... بس لسه في لحظة تقدر تختار ".

آدم يصرخ بصوت مليئ بالألم:

"أنا خلاص ضعت!

وأنت... أنت آخر حد كنت عايزه يشوفني كده! "

ليلى تنظر إليه بعينين تغمرهما الدموع، لكن بلا كراهية... فقط خوف، وربما شيء من الشفقة.

أما آدم، فقد انهار تمامًا...اهتزّت قدماه، وخفت صوته.

اللواء حسام :

"نزل السكينة بالله عليك! مش كده يا آدم...

دي بنتي، بس... إنت كمان مش مجرم!

نزل السكينة، وأتكلم معايا"...

نظر آدم في عيني ليلى...ثم تحوّلت نظراته إلى حسام، وفي عينيه صراعٌ عنيف، بين حبٍّ، وندم، وكراهيةٍ عميقة للنفس.

آدم بصوت باكٍ :

"أنا مكنتش هقدر آذيها أبداً ...

هي... هي أكتر حاجة كنت بحبها ف حياتي... حتى وأنا بكرَهها، كنت بحبها .

عارف ده بيحصل إزاي؟ إنك تحب اللي كسرك؟

وتفضل تدور عليه... رغم إنه مش بيدوّر عليك."

يأخذ خطوة صغيرة للخلف،

وينظر الى حسام:

"أنا... حاولت أخليك تصدق إني قوي،

بس الحقيقة ؟

أنا أضعف من أي طفل... أنا اتمنيت تبقى أبويا...

اتمنيت... حد يحضني، وأنا بعيط من غير ما يضحك عليّ"ّا".

أنزل آدم السكين بهدوء عن رقبة ليلى...

نظر إليها نظرة أخيرة، نظرة امتلأت بألمٍ لا تُجيده الكلمات.

أما هي، فكانت عاجزة عن الحركة، كأن جسدها تجمّد بين الخوف والشفقة.

آدم :

"سامحيني ... على كل حاجة ،

بس كنت بحتاج حد يحس بيا ".

نظر الي حسام مرة أخرى

"قول لها إنها كانت كل حاجة حلوة شفتها، حتى لو معرفتش أحتفظ بيها"...

وفي لحظةٍ تُكمِد الأنفاس...

شدّ آدم السكين، ووجّهها إلى نفسه،

ثم، بحركةٍ خاطفة، مرّرها على رقبته من جانبٍ إلى آخر.

انفجر الدم كصرخةٍ مكتومة،

واهتزّ صدره وهو يهوى على ركبتيه... ثم ببطء، إلى الأرض. الدم سال بغزارة، وجسده ارتجف،

لكنه ظلّ ينظر إلى ليلى... لا إلى أحدٍ سواها.

نظرة حبٍ أخيرة،

مكسورة... تائهة... لكنها صادقة.

ركض حسام نحوه، ألقى سلاحه جانبًا، وصرخ بأعلى صوته:

"آداااااااااام!!!"

عيناه لا تزالان مفتوحتين،

وفي نظراته امتزج الوجع بالحب، وسلامٌ... جاء متأخرًا جدًا.

اختفى آدم في سكون...

في دموعه، وفي صمته الأبدي. والسكين ملقاه إلى جواره، كقلبه تمامًا...

بعد أن خسر آخر ما كان يتمسّك به.

*****

ليلى تجلس علي سريرها، يسود المكان هدوءٌ ساكن،

وضوء خافت يتسلّل من النافذة.

في يدها ورقة صغيرة، سطّرت عليها شيئًا من مشاعرها، لكنّها عجزت عن إتمامها.

رفعت بصرها إلى السقف، وبدأت تحدث نفسها بصمتٍ داخلي

ليلى :

“كنت فاكرة إن النهاية هتبقى راحة...

بس اللي حصل خلاني أحس إني تايهة أكتر من الأول.

هو مات...

بس ساب جواه جرح بيصرخ كل يوم جوايا ”.

“كنت مستنية اللحظة دي... لحظة الإنقاذ.

بس لما بصيت في عنيه وهو بيموت،

ماقدرتش أفرح ،

ماقدرتش أصرخ ،

حسيت إني فقدت حد ...

رغم كل حاجة عملها ”.

“مش عارفة أكرهه... ومش قادرة أسامحه .

هو ضحية ؟

ولا مجرم؟

ولا الاتنين؟”

“كان في وجعه حاجة شبه وجعي ...

بس الفرق إني كان عندي حد بيدوّر عليّا...

وهو... كان بيموت لوحده، من سنين”.

"قال إنه حبني...

بس الحب ميبقاش جرح ".

"أنا ضايعة بين ذنب مش ذنبي...

وخوف من اللي جاي.

بس عارفة إني لازم أكمل ...

علشان بابا ،

وعلشان نفسي ...

وعلشان اللي مات قدامي وهو بيبصلي كأنه بيقول:

"أنا آسف... بس ملقتش طريق تاني"".

عينها فيها دمعة...صوت الريح صامت... زي النهاية. ....

"في أوقات كتير، القلوب المكسورة متتحولش لقتلة...

لكن لما الوجع يفضل ساكن في النفس ومفيش حد يطبطب عليه،

ممكن يتحول الحب نفسه لسلاح ،

والضحية... تبقى هي الجاني،

بس بعد ما يكون فات الأوان للغفران".

"نـهايـة الفصل السادس "